

الفنون الزخرفية الإسلامية

Arts Decorative Islamic

مقدمة عامة

General Introduction

لعل من أبرز مميزات الفن الإسلامي أنه فن زخرفي فقد أستفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء كانت نباتية أم حيوانية أم آدمية أم هندسية لتحقيق أهدافه الزخرفية فهو يكيف هذه العناصر ويبعدها عن صورتها الطبيعية للحد الذي يجعلنا في بعض الأحيان لانستطيع ان نستدل على اصل هذه العناصر ومصادرهما فهو لم يكتف بهذا فحسب ولكنه أستغل الكتابة العربية بالنسق نفسه بل ركب هذه العناصر وزاوج بينهما في الكثير من الموضوعات كأنما يأخذ من كل بستان زهرة فهو يريد أن يحشد في عمله الفني كل ما يريد وكل ما لديه من عناصر زخرفية ووحدات فنية ليخرج هذا العمل أية في الرونق والبهاء وأن من أوضح المظاهر الفنية التي يختص بها الفن الإسلامي (Islamic art) هي العناصر النباتية التي توضح أبتعاد الفنان المسلم عن محاكاة الطبيعة وينقلها نقلا حرفيا فهي في أكثر الأحيان عناصر زخرفية مجردة كل التجريد فلا نعرف من الفروع و الاوراق الاخطوطا منحنية او ملتفة يتصل بعضها في البعض الاخر فتكون أشكالا حدودها منحنية وقد يظهر بينها زهور ووريقات لها فص أو فصان أو ثلاثة فصوص وقد تخرج تلك الاغصان من جذوع الشجرة أو من الساق أو من أغصان أخرى .

وقد مرت الفنون الإسلامية الزخرفية بمراحل عديدة المرحلة الاولى فقد أمتدت من القرن السابع الى القرن التاسع الميلادي وهي المرحلة التي تأثرت بها الزخارف الإسلامية بالفنون المحلية تأثيراً كبيراً

أما المرحلة الثانية فتمتد من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر الميلادي وفيها يكون الفن الإسلامي قد كون شخصيته مع بقاء بعض التأثيرات المحلية

أما المرحلة الثالثة فتمتد من القرن الثالث عشر الميلادي الى القرن السادس عشر وهي المرحلة التي تم فيها تبادل العناصر والاساليب الزخرفية على مدى واسع بسبب الغزو المغولي وتوالي الهجرات بين البلاد الاسلامية وقد ظهرت التأثيرات المغولية والهندية والصينية أما المرحلة الرابعة تبدء من القرن السادس عشر الميلادي الى القرن التاسع عشر

وقد أستمرت فترة الازدهار في هذه المرحلة من أول لحظة وزادت العناصر القريبة من الطبيعة ثم بدء التدهور نتيجة لضعف الحكام وسيطرة الاتراك

ومن الجدير بالذكر ان الفن الاسلامي قام على أسس من فنون البلاد التي خضعت للدولة الاسلامية ونعني بذلك أن الفن الاسلامي قد تأثر بالفن البيزنطي والفن الساساني وهكذا نرى ان الفن الاسلامي بدء بأسلوب اسلامي ناشئ ينمو تدريجيا مشتقا على الأرجح من مصدرين فنيين وهما الفن البيزنطي والفن الساساني علما أن هناك مصدر ثالث هو الفن المسيحي المصري القبطي أو السوري أو العراقي حيث كان هذا الفن مصدراً لعدد من الموضوعات الزخرفية التي وجدت في آثار العصر الاسلامي الاول

ويلاحظ التغيرات المقتبسة جنبا إلى جنب في الآثار الاسلامية وهي تغيرات فنية مثل فسيفساء قبة الصخرة (mosaic dome alsakra) ببيت المقدس وواجهة قصر المشتى والصور المرسومة على جدران قصير عمرة وتعتبر تفريعات العنصر النباتي للمراوح النخيلية ومشتقاتها المتعددة في الفن الساساني الاصول المباشرة لميثلاتها في الآثار الاسلامية الاولى

وقد حدث في بعض الحالات ان اقتبس الفنانون المسلمون شكل المروحة المروحة النخيلية الساسانية بدون تحوير او تغير

لكنهم في حالات اخرى ابتكرو اشكال جديدة من المراوح النخيلية مثل المركبة والمفلوقة والكاملة وقد أدى تطور هذه الاشكال تدريجيا الى أسلوب زخرفي إسلامي أصيل

ومن العناصر الزخرفية الاخرى التي أقتبسها الفنان المسلم عن الفن الساساني هي الاشكال المجنحة وكثيراً ماقتبس هذا العنصر الزخرفي وظهر على الزخرفة الاسلامية الاولى علما أن هذه الاشكال المجنحة أستخدمت أصلا في إيران

وهكذا نرى أن الفن الاسلامي ظل قرابة قرنين من الزمان يخضع تارة للمؤثرات البيزنطية وأخرى للمؤثرات الساسانية وحتى إذا جاء بداية القرن الثالث الهجري وعلى وجه التحديد منذ تأسيس مدينة سامراء سنة ٢٢١ هـ حيث اكتمل للفن الاسلامي مميزاته وخصائصه التي لاتخطؤها العين والتي لم يرى مؤرخوا الفنون من الاوربيين أسما يطلقونه على الزخارف الاسلامية غير أسم العرب فعرف باسم الارابسك (arabesque) حيث يمتاز أسلوب سامراء الذي عرف باسم الارابسك باستعمال العناصر الهندسية والنباتية المحورة عن الطبيعة تحويرا كبيرا أبعداها عن حقيقتها بحيث أصبح من العسير أرجاعها الى أصولها الاولى وأن كانت نسبتها الى الفصيحة النباتية التي لا يختلف فيها أثنان فهي زخارف متكونة من فروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة .

وقد ظل أسلوب سامراء مستعملا مدة ثلاثة قرون في جميع أنحاء العالم الاسلامي مع بعض التغيرات الفرعية التي تميز اقليم عن آخر من ولايات الدولة الاسلامية وفي القرن السادس الهجري بدأت تدب الحياة في العناصر النباتية بتأثير من التيارات الفنية الاتية من القبائل التركية من مناطق شمال وسط اسيا من تركستان

أما في القرن الثامن الهجري فقد غزا الفن الاسلامي أساليب وطرز من الشرق التي صاحبت الغزو المغولي وقد تحررت العناصر النباتية الى حد كبير من أسلوب سامراء المحور عن الطبيعة واصبحت ترسم بأسلوب طبيعي الى حد كبير... كما هو الحال في الفنون الأوربية فن الركوكو والباروك

